

قواعد قرآنية (72): {ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه}

عمر المقبل

فيها العلوم التي اياته وجزاه من الاله علينا ادم وامثلة يقول الحسن باسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى الله وصحبه اجمعين. اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته عشر - 00:00:00

مشاهدينا ومشاهدات وحياتكم الله في هذه الحلقة الجديدة من برنامجكم المتعدد قواعد قرآنية. نتذكّر في هذه القاعدة القرآنية قاعدة من القواعد ذات الصلة النفوس والقلوب وتزكية القلب وتزكية النفس. انها القاعدة التي دل عليها قول الله - 00:01:05

تبارك وتعالى في سورة فاطر ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وانت تلاحظ ايها المؤمن المبارك ان الله سبحانه وتعالى يوضح لنا في هذه الآية وفي هذه القاعدة القرآنية المحكمة ان حق - 00:01:25

ان التزكية وسنأتي على معناها بعد قليل انما المستفيد الاول منها هو ذلك العبد المكلف رجلا كان او امرأة ما هي التزكية؟ ان التزكية اذا تأملناها في كلام اهل العلم رحّمهم الله تعالى اللغويين وشرعيين نجد انها تدور على معنيين اذكرهما - 00:01:42

باختصار المعنى الاول يدل على الطهارة والسلامة من العيوب والاخلاق الرديئة والسيئة. ومنه قول الله تبارك وتعالى في حق يحيى عليه الصلاة والسلام وزكاة كان تقىا وزكاة وكان تقىا اما المعنى الثاني فهو يدل على خلو او على الزيادة والنمو ومنه قول الله سبحانه وتعالى - 00:02:02

آآبل منه تسمية الزكاة زكاة لأن اثرها الحقيقي هو نمو في المال وايضا حتى زكاة النفس اي طهارتها من من ادرانها هو في الحقيقة من الجهة الأخرى نمو في اخلاقها الطيبة - 00:02:29

وافعالها الحميدة الحسنة. اذا ايها الاخوة الكرام هذا المعنى الشرعي وهو التزكية يدور على هذين الامرین يدل على خلو النفس من الاخلاق الرديئة كما يدل على زيادة في اخلاقها اه الطيبة والصالحة - 00:02:46

وهذا وهذه المعنیان كلاهما مراد شرعا. كلاهما مراد شرعا. بل ايات التزكية في القرآن كلها يقصد منها ان يحقق الانسان هذان الامرین. سلامة من الاخلاق الرديئة وتحقق وتخلق بالاخلاق الحسنة. ولهذا يقول بعض المعتبرين عن ذلك - 00:03:06

ان الزكاة للنفس تجمع بين مراحلتين. مرحلة التخلية ثم بعد ذلك التحلية. اي ان الانسان يخلّي قلبه من رديء الاخلاق ثم يجتهد في تنمية الاخلاق الطيبة حتى لا يؤثر هذا على هذا. بل يجاهد نفسه على - 00:03:26

ان تزداد من الاخلاق الحسنة الحميدة التي تكون سببا باذن الله تعالى في طرد اضدادها من الاخلاق الرديئة. ايها الاخوة الفضلاء ان هذا المعنى العظيم الذي تدور عليه هذه القاعدة القرآنية الكريمة جاء التنويه به في القرآن الكريم بطرق شتى. فمن ذلك - 00:03:46

مثلا ان الله سبحانه وتعالى جعل من مقاصد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو هذا الامر. تزكية نفوس المؤمنين. فتأمل ماذا قال الله عز وهو يمتن على عباده المؤمنين لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياته - 00:04:06

زكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة. ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة الجمعة هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم ايات ويزكيهم. فلا يلاحظ انه بدأ بالتزكية قبل تعلّم الكتاب والحكمة. لأن القلب اذا زكي صار تلقّيه لشرع الله سبحانه - 00:04:27

وتعالى اقوى واسرع في التنفيذ. ولذلك اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية على هذا الاصل العظيم وهو تزكية النفوس وتهيئتها فلما واجه القوم في اول مواجهة مع المشركين في غزوة بدر على غير ميعاد ظهرت البطولات وظهرت التضحيات وظهر اثار - 00:04:47

هذه التزكية القرآنية الایمانية النبوية الامر الثاني الذي يدلنا على تنويه القرآن بهذه المسألة وهي مسألة تزكية النفس ان ابراهيم عليه

الصلوة والسلام لما بني البيت ودعا بتلك الدعوات العظيمة كان من المقاصد العظيمة التي نص عليها في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم - 00:05:07

اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم. انك انت العزيز الحكيم وثالثة الموضع التي تدل على عناية الشرع بهذا الامر العظيم هو سورة الشمس فان نصفها ماضى في احد عشر قسما من اجل التأكيد على هذه القضية الكبرى - 00:05:30

فتتأمل ايها الموفق هذه الاقسام الواحد عشر. قال الله عز وجل والشمس وضاحها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما ونفس وما سواها - 00:05:52

فاللهما فجورها وتقواها كل هذه الاقسام من اجل قوله سبحانه وتعالى قد افلح من زكاها على القول الراجح من اقوال اهل العلم في تعين جواب القسم قد افلح من زكاها. اذا هذا اطول قسم في القرآن. احد عشر قسما صدرت بها صدر بها هذا الجواب. قد افلح من زكاها. فعلام - 00:06:13

هذا اطول قسما في القرآن يأتي من اجل هذه القضية. وهي قضية تزكية النفس. والسبب في هذا ظاهر اشرنا اليه انفا. ذلك ان القلب اذا ما لم يزكي فكيف يتلقى الشرائع؟ وكيف يمتنلها؟ وكيف يضحي من اجل دينه؟ وحتى يتبيّن لك هذا المعنى جيدا. انظر الى الذين - 00:06:35

بالله فرغت قلوبهم من هذا المعنى الشرعي العظيم. كيف هي حالهم؟ وكلما كان الانسان اكثر كفرا وعناد وجحودا كان اعظم بعدها عن هذا المعنى الشرعي. ولذلك كان سادات الذين تزكى نفوسهم - 00:06:57

هم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. ايها الاخوة اذا اتضح لنا هذا المعنى تبيّن لنا سر من اسرار اهتمام اهل العلم رحمهم الله تعالى بهذا الجانب. فانك واجد في كتابات اهل العلم سواء في كتب - 00:07:17 مستقلة او في ثنايا كلامهم تجد عناية ظاهرة عظيمة بهذا الجانب. ومن قرأ مثلا كتاب الامام ابن القيم رحمه الله مدارج السالكين وجده يدور على تحقيق مدارج العبودية التي تزكي بها النفس في كتابه المشهور مدارج السالكين. ولابن تيمية رحمه الله رسائل مستقلة - 00:07:32

التحفة العراقية وغيرها من الرسائل والكتب. هذا فضلا عن كلامه المنتشر في فتاواه. تجد عناية بالغة جدا بهذا هذا الامر اعني تزكية النفوس. ومن قرأ ترجم السلف رحمهم الله وكلماتهم وخصوصا مثلا في كتاب آآ في كتاب حلية الاولياء. وانصح - 00:07:52 مختصراته لان الاصل اه لا يناسب اه اهل العلم. اقول من قرأ في مختصراته وجد العناية الفائقة من قبل ائمة السلف من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن التابعين واتباعهم بهذا الامر العظيم. فما اكثر حديثهم عن التقوى وما اكثر حديثهم عن الاخلاص. وما اكثر حديثهم عن - 00:08:12

عن المراقبة عن التوكل عن الصدق عن اليقين في سلسلة عظيمة من الاخلاق التي هي قواعد يقوم عليها بناء وتزكيتها. ايها الفضلاء اذا اتضح هذا ايضا فان سؤالا ملحا هنا يسأله البعض - 00:08:32

كيف نزكي نفوسنا وهذا في الحقيقة هو من اعظم الثمرات التي يجب ان تطرح حينما يتحدث الانسان عن التزكية لان الكثير بل اقول الكل من امن بهذا القرآن يعلم ضرورة النفس لهذا المعنى لكن السؤال كيف - 00:08:50

هذه هي المرحلة الثانية. كيف نزكي نفوسنا؟ واعظم ما تزكي به النفوس هو توحيد الله عز وجل وقوته التعلق به ولذلك نلاحظ مثلا اذا جاءت المواقف ذات المحكات الصعبة يظهر اثر هذه التزكية. فمن الذي يخفى عليه مثلا موقف ابراهيم عليه الصلاة والسلام - 00:09:07

حينما القى في النار يأتيه جبريل وهو في الهواء ويقول له يا ابراهيم اليك الله حاجة؟ قال اما اليك فلا واما الى الله فنعم يأتي موقف محاصرة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار - 00:09:27

فيخشى ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول يا ابو بكر انظروا الثقة اليقين ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ في موقف كثيرة اذا التوحيد هو اعظم ما تزكي به النفوس. وكلما كان توحيد الانسان اعظم - 00:09:42

قلبه اشد واعظم زكاة. كذلك ايضا ملازمة قراءة القرآن وتذibrه على الوجه الصحيح. فان هذا والله من اعظم ما تزكي به القلوب. الله عز وجل يقول الا بذكر الله تطمئن القلوب. الذين امنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله. الا بذكر الله تطمئن القلوب. واعظم الذكر - 00:09:59 هو كلام الله سبحانه وتعالى. ومن تبع ايات القرآن لو وجد ان الله سبحانه وتعالى اعطى يعني وصف المؤمنين حال سماع القرآن يعني او جاء في القرآن تنويعهم كثير بهذا اقرأ مثلا خواتيم سورة الاسراء اقرأ خواتيم سورة الفرقان فستجد وصفا - 00:10:19 واضحا جليا لحال المؤمنين مع كتاب الله سبحانه وتعالى. وما يقع منهم من سجود وخرور وبكاء ونحو ذلك من الاعمال هي كلها اثر من اثار تزكية القرآن لقلوبهم. كذلك ايضا كثرة الذكر عموما. لا شك انها من اسباب زكاة القلب والنفس. ايضا - 00:10:39 المحافظة على الصلوات وما ظنك بانسان يتصل بربه سبحانه وتعالى في اليوم والليلة عشرات المرات يعرض عليه حاجاته ويصمد له بقدميه ويعفر جبهته هذه في الارض طلبا لرضى الله سبحانه وتعالى وطلبا - 00:10:59 قلبي وزكاة النفس. لا يخيب انسان يطرق الباب عدة مرات على اكرم الاكرمين جل جلاله وتقدست اسماؤه. كذلك ايضا من اسباب تزكية النفس محاسبتها بين الفينة والاخرى. فان الانسان يكسل. الانسان يخطئ يقصر يحصل منه ما يحصل. وما هو بالمعصوم - 00:11:17

فيحسن به ان يجعل نفسه بين الفينة والاخرى يحاسب به نفسه وقتا يحاسب بنفسه جلسة يجلسها مع نفسه اسبوعية شهرية وهو في خلوة من الخلوات يعرض اعماله قبل ان تعرض عليه في وقت لا يستطيع فيه ان يستدرك ما اخطأ فيه. كذلك ايضا من الاشياء - 00:11:37 المعرفة الظاهرة التي لا يخيب مجريها حضور الآخرة في قلب العبد. فان الانسان الذي تحظر في ذهنه الآخرة وعدها ووعيدها اهوالها اه البعث النشور موقف الحساب اذا كانت هذه حاضرة في ذهن الانسان فان قلبه - 00:11:57 ومن اقرب القلوب الى زكاتها. الى زكاة من اقرب القلوب الى تحقيق هذا المعنى العظيم. وهو زكاة النفس. ولهذا نجد الربط العظيم الكثير في الكريم لقضية الایمان باليوم الاخر. وخذ مثلا على ذلك - 00:12:17 لما ذكر الله اية الدين وحث اصحاب الدين ان يوسعوا على المعسرين قال الله عز وجل وان كان ذو عسرة فلننظر الى ميسرة وان تصدقا خيرا لكم ان كنتم تعلمون. واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله - 00:12:32

فالانسان الذي تحظر في قلبه الآخرة سيرق ويرحم هؤلاء المساكين. بعكس الذي تغيب عنه الآخرة فانك ستتجده كما قال الله عز وجل. ارأيت الذي يكذب بالدين انظر الى اثار تكذيبه فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحضر على طعام المسكين - 00:12:49 فاذا رأيت انسانا يدع اليتيم ويزجره ولا يحضر عطاء المسكين فهذا دليل على ضعف ايمانه باليوم الاخر. ان لم يكن مكذبا به عيادة بالله. كذلك ايضا تذكر الموت وزيارة القبور فانها من اسباب تزكية النفوس وطهارتها وهذا امر معروف ختاما قراءة سير الصالحين واخبارهم - 00:13:06

كما اشرت انفا فانها من الاسباب التي تزكوا بها النفوس. وقد قيل في مجلس الامام احمد بل قاله هو رحمه الله عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. اسأل الله عز وجل ان يرحمنا واياكم برحمته الواسعة. وان يرزقنا واياكم زكاة قلوبنا ونفوسنا - 00:13:26 الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيها العلوم التي اياته وجزات كلها بالاغتها من الله علينا وامثلة يقول حسن - 00:13:46